تمام الإستعداد

رب طهر قلوبنا واجذبنا جذبة العارفين أهل السماح

وهذا هو تمام الإستعداد لمن أراد الإستمداد من رب العباد، هل الإستمداد يكون بالأجساد أم بالقلوب؟ بالقلوب، إذاً يكون عملنا حتى نتنعم بكتاب رب البرية أن نغسل القلوب من الذنوب ونطهرها.

وأول ذنب في القلوب هو ذنب الغفلة عن الله، إذا غفل القلب عن مولاه طرفة عين أو أقل فهذا أكبر ذنب يندم عليه يوم لقاء الله جل في علاه، فغفلة المؤمنين أكبر ذنب:

إذا القلوب سهت عن ذكر خالقها فهي الصخور التي ركبت أبدانا
إذا الوجوه خلت من نور سجدتها لم تستحق غداة الموت أكفانا
إذا خلا المرء عن فهم ومعرفة ظلمت نفسك لو تدعوه إنسانا

فأكبر ذنب هو الغفلة عن هذا الإله الذي يوالينا في كل أنفاسنا بعطاياه التي لا نستطيع أن نعدها ولو في نفَس واحد، فكيف نسهو عنه ولا نذكره ﷻ؟!!

ومن ذنوب القلوب عدم إخلاص التوحيد لحضرة الحميد المجيد ﷻ، بأن يعتقد الإنسان أن أخيه الإنسان الضعيف له شأن، يفعل ويوظف ويرزق ويشفي، وينسى أن الفعال لما يريد بجميع العبيد هو وحده الحميد المجيد ﷻ، فمن يشهد الغير فعال وله فعل من ذاته، وليس تأثير الفعل من ربه فهو مشرك في عقيدته في حق ربه ﷻ:

من يشهد الغير فعال فمنقطع لأنه مشرك قد مال للسفل

لا يشفي الطبيب إلا بإذن من الله، ولا ينفع الدواء إلا إذا أذن له الله، ولا يُشبع الطعام إلا إذا نزل عليه سر المقيت، والمقيت هو الله، ولا يعمل أى إنسان أو كائن في الكون حركة ظاهرة أو باطنة إلا إذا حركه المتحرك، والمتحرك والمحرك هو الله جل في علاه، إذاً لا بد أن تنزه إلهك عن السوى، فإذا ضعفت أمام بشر، وظننت أنه له فعل

من عنده، وله تأثير من ذاته، وأن له اختصاص بدون إذن من ربه، فهذا ذنب عظيم ينبغي أن تطهر قلبك منه.

ومن ذنوب القلوب اليأس من علام الغيوب:

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٨٧يوسف)

إذا نزل بالإنسان ضائقة، أو أصابته ملمة، أو أحدق به خطر وتغير قلبه نحو مولاه، وظن أن مولاه تخلى عنه بعنايته ولطفه وقدرته، ويأس من رحمة الله، فهذا ذنب كبير يجب أن يتوب منه إلى الله جل في علاه.

إذا أعجب الإنسان بنفسه، ورأى أن له شأناً، وأن له صولجان وله هيلمان، ويستطيع أن يفعل، ويستطيع أن يقول، ويستطيع أن يأمر، ويستطيع أن ينهي من نفسه، بغير معونة وتوفيق من ربه، فقد ذل وضل، وينبغى أن يتوب من هذا الفعل، مع أنه ذنب قلبي وليس ذنب من الجوارح أو الأجسام.

يتوب الإنسان من ذنوب القلب، ويغسله من الغفلات والضلالات والزلات، ويملؤه بالأنوار الكاشفات، بالإقبال على ذكر الله في جميع الأوقات والآنات، يذكر الله في كل أحيانه، فلا يقوم إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر، ولا ينام إلا على ذكر، ولا يمشي إلا على ذكر:

إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مسروداً بآيات

وكما أن للجسم طعامه الذي يقيم أوده، وله شرابه الذي يطفئ غلته، وله كساءه الذي يوارى عورته، فللقلب قُوُته، وقوت القلوب ذكر علام الغيوب، وشرابها مشاهدة وجه الحبيب المحبوب ﷺ، وغذائها الحكمة القرآنية:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة)

ولذلك لا بد أن ندع لقلوبنا الفرصة لتتناول غذائها، وتتدثر بلباس التقوى:

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ (٢٦الأعراف)

وتشرب من رحيق الحبيب، حتى يكون لها من كتاب الله أوفى نصيب، فقد قال الله:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ (١٩٣-١٩٤الشعراء)

ومعانيه وأسراره وأنواره كذلك لا تنزل إلا على قلب حبيب غير غريب، وغير ملتفت عن الله ﷻ، وإنما دائماً وأبداً مشغول بالله ﷻ، ومقبلٌ عليه في كل الأوقات والآنات.

فكما أننا سنجهز موائد الجسم، كذلك علينا تجهيز موائد القلب، وكما سنجهز للأجسام غذائها في رمضان، فعلينا أن نعطي للقلوب نصيبها من القرآن، ومن ذكر حضرة الرحمن ﷻ، ولذلك تجهيز المؤمنين هو تجهيز القلوب في هذه الأيام، وفي ذلك يقول ﷺ:

{ ألا وإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ }[1]

وجعل الله ﷻ شهر رمضان لتغذية القلب من القرآن، حتى يخرج الإنسان من رمضان وهو من أهل العرفان، لأنه رَوَى القلب بحكم القرآن، وسقاه بالعلوم الوهبية الموجودة في القرآن، ونوَّره بالمشاهد العلية التي كاشفه بها المولى ﷻ في القرآن، فيكون في شهر رمضان مع القرآن، كله للقرآن، فينام على القرآن، ويقوم بالقرآن، ويحيا بالقرآن، في قيامه الليل يتلو القرآن، وفي عبادته بالنهار مع القرآن، ويتفرغ بالكامل من الأبدان وحاجاتها إلى القلوب وحاجاتها، وحاجة القلوب هي كلام علام الغيوب ﷻ.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

[1] رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ